

استدعاء التراث في أدب زكريا تامر

صلاح الدين عبدي^١

تاریخ القبول: ١٤٢٩/٦/١٤

تاریخ الوصول: ١٤٢٩/١/٢٥

توظيف الشخصية التراثية في الأدب العربي المعاصر، هو آخر أطوار علاقة الأديب المعاصر بموروثه. و يعدّ التراث من مصادر الإبداع ولا يتحقق وجود الأمة دون أن تتفاعل مع تراثها تفاعلاً حياً. والتعبير بالشخصية التراثية أو توظيفها يعطي غنىً وأصاله وشمولاً لأدب الأديب. وبما أن الموروث أقرب إلى الذاكرة الجماعية فقد أقبل الأدباء إلى هذا الجانب شعراً و نثراً بعد نكسة حزيران ١٩٦٧. أقبلوا إلى التراث يستوحونه ويستلهمونه ليستشروا لهم ليكون أدبهم أوثق صلة بالمجتمع. ويعتمدوا على التراث في الوقت الذي لا تنسى فيه المعاصرة والحداثة.

كذلك استلهم زكريا تامر وكغيره من الأدباء المضامين التراثية، فاعتمد على التراث التاريخي تارة و الأدبي تارة أخرى وكذلك التراث الشعبي بين الفينة والأخرى وأكد على أن التراث الماضي يستمد شخصياته من التاريخ الإسلامي والعربي.

هدف هذه المقالة إلى إلقاء الضوء على التناقضات الهائلة لهذا العصر وتبيين مدى الإختلاف والتفاوت بين الماضي بقيمه البليلة الناصعة الحديدة والحال بقيمه المزيفة الوضيعة النذلة. وتندرج الرؤى القديمة ببطولاتها و بسالاتها بالرؤى المعاصرة بجنبها واهتزامها وهكذا يستدعي زكريا الشخصيات التراثية في ظفّها توظيفاً عكسيّاً ويستنبطهم و يبعثهم من قبورهم ليطرح هذا السؤال و هو: لوجعلوا في عصرنا الراهن هل استطاعوا أن يدعوا كما أبدعوا في الماضي أم لا؟ و زكريا تامر باعتماده على الأسلوب التهكمي الساخر يحيى يوسف العظمة، طارق بن زياد، و جنكيرخان، و تيمورلنك، و عمر الخيام، و أحمد شوقي، والمني و أبانواس، وعبد الله بن المقفع، وغيرهم.

الكلمات الرئيسية: استدعاء، الشخصيات التراثية، الأسلوب التهكمي الساخر، زكريا تامر.

١. أستاذ مساعد في جامعة أبو علي سينا بحمدان

كيافهم من جانب إسرائيل حتى أن أحد الأدباء يؤكّدان استخدام التراث و رموزه يشكّل إحدى سمات أدب السبعينيات وقد كثرت الدراسات التي تناولت قضية التراث في الأدب العربي في هذه الفترة.^٥

إن العلاقة بين التراث والأدب علاقة بحثة فلا يقبل الأديب التراث كله ولا يرفضه كله بل يتم تفاعل حي بينهما حتى يفحر الطاقات الكامنة في النصوص التراثية ليتّنبع الأدب الأصيل و يوظفها حسب موقف الأديب الشعوري.^٦

يستلهم زكريا تامر المضامين التراثية فيعتمد على التراث التاريخي تارة والأدبي تارة أخرى و كذلك التراث الشعبي بين الفينة والأخرى و يؤكّد على أن شخصيات التراث الماضي مستمدّة من التاريخ العربي الإسلامي. و كي يسلط الضوء على التناقضات المائلة لهذا العصر و يبيّن لنا مدى البون الشاسع بين الماضي بقيمه النبلية و الحال بقيمه المزيفة و يدمج الرؤى القديمة ببطولاتها بالرؤى المعاصرة و زيفها، فقد استنطق و بعث الشخصيات العربية و الإسلامية — لاعبر اقتباس نصوصهم و تداعياً — إنما كوجود فعلي واحتلاطهم بالمعاصر والاستمرارية و دمج القديم في روح العصر دون قيود الدلالات التاريخية ليتّنبع صوتاً ثالثاً يكون هو صوت المستقبل واستشرافه. و يمكن أن نقسم المصادر التراثية التي يستمد منها زكريا إلى ثلاثة مصادر أساسية و هي: الموروث التاريخي، و الموروث الأدبي، و الموروث الشعبي:

١- الموروث التاريخي

زكريا يستنطق الشخصيات التاريخية والأسطورية ولا يهمه التتحقق التاريخي للشخصية المختاراة بل، ليعبّر عن موقفه يريده حاكماً نمائض العصر الحديث من خلالها. فعبرَ عن كثير من

المقدمة

إن التراث هو «ال ينبوع الدائم التفجر بأصل القيم وأنصعها وأيقاها، والأرض الصلبة التي يقف عليها ليبني فوقها حاضره... الجديد على أرسخ القواعد وأوطدها والمحصن المنبع الذي يلحّ إليه كلما عصفت به العواصف فيمنحه الأمان و السكينة».^٧ شاعت في عصرنا استخدام الشخصيات التراثية حتى أصبحت إحدى الميزات البارزة في هذا العصر و في هذا المجال يعتبر قول ابن منظور جاماً حينما يعبر عن رأيه حول التراث ويرى أن التراث هو ماضي الثقافة الإنسانية سواء أكان على صعيد الفن أم الأدب أم الفلسفة أم على الصعيد الاجتماعي المتمثل بالعادات والتقاليد والتراث بمعنى أشمل؛ هو التركة الفكرية و الروحية التي يتناقلها جيل عن جيل.^٨ لا بُدّ شعباً لاباهي بتراثه و لا يهتمّ به و مهمّة الأدباء إحياء التراث و دراسته و نقله إلى جيل المستقبل. إنّ التراث يُعدّ إحدى مصادر الإبداع و النشاط الفكري ولا يتحقق وجود شعب دون أن يتفاعل مع تراثه تفاعلاً حياً. لقد أدرك الأديب المعاصر أهمية استخدام التراث و الاستفادة منه إذ يعتبر معيناً لainضـ و ذلك «لأن المعطيات التراثية تكتسب لوناً خاصاً من القداسة في نفوس الأمة و نوعاً من اللصوق بوجданها لما للتراث من حضور حي و دائم في وجدان الأمة».^٩ فحينما يستغلّ الأديب التراث و يستفيد منه، يعطي لأدبه غنىً و أصالة و شمولًا. و اندفاع الأديب للرجوع إلى تراثه إنما يكون لشعوره بالإغتراب والوحدة في العالم الذي يسوده الريف ليكون هذا اتراث ينبعاً لأدبه ليهلل منه، و يؤكّد على الرمز التاريخي ليضيء من خلاله أحدّات عصره المكتظ بالخوف والجوع و الحروب، والمشيع بالنضال في سبيل الحرية و الكرامة الإنسانية.^{١٠} تم استخدام الأدباء العرب للتراث بعد حرب (١٩٦٧) حينما هدد

يركب سيارة طويلة عريضة، و الوزير لا يحمل سلاحاً بل يرافقه دائماً شرطيّ مسلح بمسدس و السيف الآن يكفي بتعليقه على جدران الغرف كتحفة أثرية ولا أحد يستخدمه سوى ضعاف العقول».١٠ و عندما يشتدّ الحوار الساخر بينهما ينتهي بيوسف العظمة إلى مستشفى المجاني و هكذا يظهر التباين والتضاد بين ميسلون و زمن مضاد لحريران بمعنى من المعنى، و بين انتصارات الماضي و انكسارات الحاضر بدلاً من أن يصبح البطل الشهيد الذي بذل نفسه من أجل وطنه قدوة و نبراساً للأجيال، تستدعيه هذه الأجيال لتحاكمه و تتهمه بالبله والجنو.

يكتب زكريا تامر قصتين عن سليمان الحلبي الطالب الأزهري الذي كان يتلقى العلم في الأزهر. الأولى «الجريمة» من مجموعة «ربيع الرماد». يستلهم فيها حضور سليمان الحلبي قاتل الجنرال كليبر عام (١٨٠٠) في مصر حيث كان حاكماً عسكرياً فيها و يعطي لهذا الحادثة الشخصية شحنة عصرية في إدانة الواقع إذ كان سليمان الحلبي رجلاً بسيطاً يعيش مع أسرته بمدou و سلام إلا أنه أقييد بتهمة أنه رأى في منامه أنه يقتل الجنرال كليبر. لكن الكاتب يجعل أقرب الناس إليه يشهدون عليه: أبوه و أمه وأخته وأصبحت حياة سليمان في خضم المطاردات على قاعدة زكريا الوجودية القائلة: «لماذا ولدت ما دمت بريئاً جئت إلى هذا العالم كي تهلك و ستلهك دون احتجاج، أنت مجرم».١١ - لاحظ استخدام الأفعال - هو من وجهة نظر المحقق مجرم ومذنب لأنه ولد ولادة أصبحت كصيغة جرم له، ثم يُقاد إلى غرفة جانبية لتنفيذ الحكم فيه و هو مثله و تقطيع أوصاله.

أما في القصة الثانية من «قتل الجنرال» من مجموعة «نداء نوح» فإن سليمان الحلبي يلتقي خصميه الجنرال كليبر

القضايا المصيرية المعاصرة وعن الغربة التي يعيشها الإنسان العربي مستلهمًا عمر المختار و طارق بن زياد و يوسف العظمة ليعيد محكمتهم من جديد و يلغى الفواصل بين الماضي و الحاضر و لهذا رجحنا أن نسلط الضوء على الشخصيات التاريخية البارزة في ذاكرة أدبائنا و ترك آخرين.

في قصة «الذي أحرق السفن» من «مجموعة الرعد» يمثل طارق بن زياد قائد المسلمين في فتح الأندلس أمام القاضي و الحق في القرن العشرين - و من المعلوم أن طارقاً قام بإحرق السفن التي أكلت الجند كي يقطع طريق المهرب فإما النصارى الموت - بتهمة تبديد أموال الدولة لأنه أحرق السفن دون إذن من رؤسائه. لا يفهم الحق كسب النصر بل ما يفهمه هو الإذن بحرق السفن و بما أنه لم يحصل على إذن من رؤسائه بحرقها ثبتت حياته و يُنفذ حكم الإعدام.

أزاحت هذه القصة الستار عن البيروقراطية القاتلة التي أدت إلى تحول العالم المعاصر إلى روتين. و يقول (أحمد محمد عطية) بأنّ هذه القصة قد كتبت بعد مأساة (١٩٦٧) التي وقعت بسبب عدم وجود أمر للقود باستعمال الأسلحة.٧ وخرج طارق بن زياد من قبره كي يعرض على فساد المجتمع و السلطة والإدارة فصاح بترق «حملتم السلاح وجلستم وراء المكاتب تحسون الشاي والقهوة وتححدثون عن الوطن و النساء».^٨

يستدعي زكريا في قصة «الإستغاثة» من مجموعة «دمشق الحرائق» يوسف العظمة^٩ وزير دفاع الحكومة الفيصلية عام (١٩١٨) في بلاد الشام. يتحرك تمثال يوسف العظمة في إحدى ساحات دمشق وتدب فيه الحياة وهذا التمثال الجامد يسمع صوت الإستغاثة و يتحرك لمساعدة صاحب الصوت - لاحظ السخرية - غير أنّ الحارس يستوقفه مستغرباً من كونه يحمل سيفاً و مستهزءاً لقوله بأنه وزير قائلًا «الوزير لا يمشي في آخر الليل كالشحاذ بل

الإنسان الذي تحول إلى آلة صماء قاتلة. عمر المختار هو تعبير عن العدالة المشنوعة أمام اهتزام الإنسان، فمات، وترك المشنعة ليبحث عن تربة يتوارى فيها عن بشاعة هذا العالم مبللاً بالدموع الحارقة.

لقد وظفَ زكريا عدداً كثيراً من الشخصيات الموروثة الإيجابية بأسلوب ساخر متهم كلّي يعكس سذاجة المجتمع وهشاشة بطولاته المصطنعة... هذه نماذج من العلماء والأبطال والمخترعين تمثل الوجه المضيء في تاريخ العرب إلا أنّ زكريا تامر قد سخرها عكسياً لتوليد نوع من المفارقة التصويرية بهدف إبراز التناقض الحاد بين روعة الماضي وتألقه وظلام الحاضر وفساده.

زكريا لم يقتصر على عرض النماذج الإيجابية؛ بل عرض صور بعض الحكام والأمراء من أمثال چنكىز خان الإمبراطورية المغولية و تيمور لنك ملك المغول وحفيد چنكىز خان، و هولاكو أيضاً حفيد آخر لچنكىز خان. و يصور هذه الشخصيات السفاكية على عكس شهادة التاريخ إذ لا يصور چنكىز خان أو هولاكو أو تيمور لنك و مدى سفاحتهم كما يقول التاريخ، إنما يُعدّ السلطات الحاكمة على البلاد العربية أسفوك وأسفح من هؤلاء. كما يدور على زكريا تامر فakahته تغلب عليه الإقذاع والشتم، و بعبارة أخرى فakahته في معظمها تُظهر عليه الاستهزاء والتهكم والسخرية المباشرة و كما هو المعروف أنّ الفakahي ينبغي أن تكون مضحكة إلا أنه محنقاً و في هذا الكلام تلاحظ تناقضًا إذ أن الضحك و الفرح نفسه يدل على ذوق الكاتب وعلى رأي المثل «قتل بضحك»؛ أي أن الفakahie تعتبر سلاحاً فاتكاً لقتل الخصم و زكريا يوظف التراث لهذا الهدف و كشف لنا عن المفاهيم الزائفة التي تحكم حياتنا الراهنة و التي لو تحكمت في الحياة الماضية لسحقتهم وأهانتهم وحرمتهم من البطولات المضيئة.

في الشارع فيستوقفه ويدور بينهما الحوار الساحر والفكاكي في عالم الأموات على النحو التالي:

الجنرال كليبر: «ولماذا قتلتني؟»

سليمان الحلبي: «أنا لست بقاتلتك الحقيقي. قاتلك الحقيقي هو من أتى بك من بلادك حيث ولدت إلى مصر لتشارك في غزوها واحتلالها وتصبح حاكماً عليهمما.

الجنرال كليبر: «إذا كنت قد قتلت الجنرال كليبر فالجنرال كليبر ليس واحداً و هناك جنرالات آخرون كثيرون».

سليمان الحلبي: «إذا كان هناك جنرالات مثلك، فهناك أيضاً رجال مثل متأهبون للإنقضاض بمناجرهم».^{١٢}

سليمان الحلبي بقي وحده بعد ذهاب الجنرال كليبر و «هيمن عليه الحزن و الخجل فهو يكره الكذب و يحتقره. وهذا هو ذا يتبيّن له أنه قد كذب كذباً شائناً فسيظهر في البلاد العربية جنرالات كالجنرال كليبر و لن يكونوا أجانب، ولكن أمثال سليمان الحلبي سيكونون عزلةً، وسيقبض عليهم، و يعدمون قبل أن يتاح لهم التسلح بأي سلاح وسيقى الجنرالات أحياء». ^{١٣}

كما يبدأن الحرية هي محور أساسي في قصص زكريا تامر: «تلك الحرية ترهقها و ترهقها الشرطة و بذرة الخوف الكامنة في نفوس البشر الضعفاء الذين يسقطون سقطات تراجيدية واحداً تلو الآخر. إذا فهو ليس بمحاناً عن الحرية فقط إنما نزعة تراجيدية نحو التحرر المستحيل كثيراً ما تنتهي مثل قصص كافكا بمصرع أبطالها وهم يكافحون عبئية و تصف قدرهم ببعديه الإجتماعي و الميتافيزيقي دون أن يفقدوا صبورتهم للحقيقة و استشهادهم كمتمردين راضين...».^{١٤}

يتدلّى عمر المختار^{١٥} من أعاد المشنوعة في قصة «الإعدام» من مجموعة (دمشق الحرائق) دون اكتراث للحارس المكلّف بمراقبته و الحارس يشنق دمية كانت بيد طفل صغير تعبرأ عن حنقه الداخلي عندما يبكي عمر المختار بسبب طحن

يصوره زكريا باع سيفه دون أن يلطّخه بدماء رجل و يصبح مثل قطته يموج طوال اليوم ويدب على أربع و عاد وحيداً بعد طرد قطته كما بدأ. أما في القصة الثانية باسم «الجالس والواقف» من مجموعة «نداء نوح»، يجلس الشنفرى في إحدى المطاعم ليأكل دجاجاً مشوياً إلا أن رجال الشرطة يقتادونه إلى الحق بتهمة خصومته لقبيلة سلامان مؤيدة لنظام الحكم و يقسم الشنفرى مؤكداً رفض قتل مائة شخص من أفراد تلك القبيلة و يعاهد الشنفرى أن أفراد هذه القبيلة أعز من أمه و أبيه و يقول: «إنه شاعر» فيعرض على الحق قصيدة مشهورة باسم لامية العرب وأنه يُعد كتاباً «لتبيان محسن الدولة الغراء ... إنه يتآلف من مائة قصيدة و كل قصيدة تمتاح مسؤولي الدولة: الوزراء و المديرين والقادة... أما رئيس الدولة ... إنه سيكون الموضوع الأوحد لكتابي الثاني الذي سيشتمل على ألف قصيدةٍ تمجّد جزءاً من أجزائه». ^{١٨} ثم يجعله الحق مخبراً عن صديقه تأ بط شراً حيث يوافيه يومياً، يرفع إليه تقريراً بكل تحركاته وهذه الخدمة الوطنية ليست مجاناً وإنما جزاؤها العطاء بالدولار في أي مكان يشاء.

و في قصة «عبدالله بن المفعع الثالث» من مجموعة «نداء نوح» يقتاد هذا الأديب البارع والمبدع إلى المنصور الخليفة العباسي بتهمة ضرب القطة و يقول للمنصور إنه كاتب «أنا أؤلف كتاباً مملوءة بالحكم التي تحضّ الإنسان على التفكير». ^{١٩} يواجه باعتراض أحد وزراء المنصور بخنق و نرق لأنّه يحضر الناس على عمل - وهو التفكير - كان عمل الحاكم الصالح إذ تعود الناس التفكير فلن يحتاجوا إلى حكامهم. و من وجهة نظر الوزراء ابن المفعع هذا، هو وعدوا الشعب و يجب أن يعاقب. والمنصور سيمنحه من الذهب ما يعادل وزن كتابه على شريط أن يكون كتاباً لديه طوال حياته و يكتب خارج أوقات العمل

- الموروث الأدبي

لا شك أن الموروث الأدبي يُعد أقرب المضامين إلى الأديب. و من الواضح أن الشخصيات المختارة تكون من أولئك الذين يعانون آلام عصرهم ولهذا كانوا ممثلين لشعبهم أمام أصحاب القمع و الظلم. و توظيف زكريا للشخصيات الأدبية المعروفة من التاريخ الثقافي للعرب والإسلام مثل؛ عنترة والشنفرى و المتني و أبي نواس و عمر الخيام و عبدالله بن المقنع و غيرهم... ليطرح إنما هو هذا السؤال في التراث: لو قدّر لهذه الشخصيات أن تعيش في زماننا هذا هل تبدع كما أبدعت في الماضي؟ للإجابة يجب أن نتابع قصصه.

في «قصة» المتهم من مجموعة (الرعد) يُساق رفات عمر الخيام إلى المحاكمة بتهمة كتابة شعر يمجّد الخمرة و يدعو إلى شربها - لا لقبحه الدينى - بل زكريا اليوم يتلاعب بالأسباب فيعزّيزها إلى الأوضاع السياسية و الاقتصادية. و حسب رأى القاضي «لقد ثبتت إفادات الشهود أنّ أشعار عمر الخيام ليست إلا دعاية صريحة للخمرة ودعوة سافرة إلى استيراد البضائع الأجنبية و تنفيضاً لخطط مشبوه يهدف إلى إثارة الشغب». ^{٢٠}

ويضع للشنفرى قصتين: الأولى باسم «الشنفرى» يقول في بداية قصته: «باع الشنفرى سيفه قبل سنتين دون أن يلطّخ سيفه بدماء مئة رجل وعاش بعدئذ في مدينة تفترسها شمس من نار». ^{٢١} الشنفرى ذلك الصعلوك الجاهلي رمز الثورة و التمرد على قبيلته وعنصريتها الذي هام في الخلاء بحثاً عن قوم جدد يستبدلهم بين البشر و الشنفرى الذي يصوره زكريا فيها ميزات مشتركة ومفارقة بشعورهما بالاغتراب و الجوع و الوحدة و الكآبة و الإستعاضة عن البشر بالحيوان. إلا أن الشنفرى التاريخي لم يستسلم بل أعمل سيفه في رقاب عدوه والشنفرى الذي

صدقه فيرى ما يرى؛ لأن الأمنية الوحيدة التي يحمل الأطفال بها أن يصبحوا لصوصاً دوّلين والأبطال العرب الذين يتأنسون بهم أطفال هذا العصر هم «أرسين لوبين» و«جيمز باند» ويرون أهم سلاح ابتكره العلماء هو الكذب. من يستخدمه ينجح، ومن لا يستخدمه يخفق، ويندم، وعندما يرى آراء الأطفال يهرب من مكتبة إلى مكتبة لجمع كتبه الموجهة إلى الأطفال ثم يحرقها بشففٍ لا يخلو من غبطة.^{٢٤} في قصة «نبوءة كافور الأخشidi» من مجموعة «نداء نوح» المتني، الشاعر الشهير، أصبح عبداً لكافور بعد ضربه ضرباً موجعاً يمدحه ثم يهجوه وفي كلتا الحالتين ينال عطاءه «هذا التناقض سيصبح في المستقبل حكمة شائنة تدين المتني وتبرهن على أنه مجرد مرتزق صغير غير جدير بالإحترام».^{٢٥} وفي قصة «شجر الصحاري» من مجموعة «سنضحك» في كل مقطع نتعرف على أديب أو فيلسوف اشتهر في الأدب العربي. على سبيل المثال؛ في مقطع القادر نتعرف على أبي حيان التوحيدي، وفي مقطع أحلام أبي نواس نطلع على أبي نواس الشاعر الماجن في العصر العباسي، وفي مقطع القصيدة الأخيرة يتناول زكرياً أفكارَ أحمد شوقي، الشاعر المعاصري بسخرية وتمكم، وفي مقطع مختصر نتعرف على خليل الحاوي الشاعر الناقد اللبناني الذي عاش فيعزلة صوفية وفي النهاية انتحر. وفي مقطع «المشييم» يتناول زكرياً حياة ابن سكره والناس المعاصرين له ساخراً. ينسى زكرياً حيالهم التاريخية ليوظفهم في الواقع التي يريده، ساخراً متهمكاً لمقارنة بين زيف الحال وتأثير الماضي ومبرهناً على البون الشاسع الذي بينهما.

٣- الموروث الشعبي

هذا التراث يظهر في أدب زكريا بشكليه المكتوب والشعفي. وفي البداية نستعرض التراث المكتوب؛ ففي مجال

و يؤلف كتاباً عن جهود المنصور لإسعاد الناس الذين يحكمهم و تنتهي القصة بهذه الجملة الساحرة ليبرهن على طبيعة الحكام الظالمين: «من يرغب في التفكير، فليفكر كما يحلو له. التفكير ليس من نوعاً مadam السيف أقوى و أنا الذي يملك السيف».^{٢٦}

و في قصة «إعدام الموت» من مجموعة «نداء نوح» يصور زكرياً أبانوس بزّي قائد جيوش هارون الرشيد، ويعطي هارون الرشيد مهلة لأبي نواس ليضع خطة لأن يجعل حشه أقوى الجيوش في العالم ثم يتحدث زكرياً بجملات ساحرة لفكرة تافهة لأبي نواس، ثم يعطي مهلة ستة أيام لمطاردة الموت والقبض عليه ثم يمثلّ رجل ممزق الثياب حافي القدمين امام هارون الرشيد على أنه الموت وبعد اعدام ذلك الرجل المسكين يرى هارون الرشيد أن الموت مازال يقضي يومياً على الناس الذين يحكمهم فيدهش و لكن أبانوس يجibه: «نحن قضينا على الموت الجدّ فقط ولم نقض على أبنائه وأحفاده و هم كثيرون».^{٢٧}

ففي قصة «عنترة النفطي» من مجموعة «نداء نوح» يستبدل الكاتب عنترة العبسي الذي اشتهر ببسالته وغيرته بعنترة النفطي الذي يشتهر بالحنين والبخل والثراء حتى أنه يملك أربعة بنوك وقد جمع ثروته الهائلة هذه عبر تحريره للسلاح والمخدرات وقد تذكر لحبه لعبدة ابنة عمّه ووصف حبه السابق بأنه نزوة مراهقين كما تذكر لكل القيم النبيلة التي كان يؤمن بها في حياته السابقة.

في قصة «الأطلال» من مجموعة «نداء نوح» نتعرف على كامل الكيلاني^{٢٨} و أمل دنقل^{٢٩} و يدور بينهما حوار على أن الكتب التي ألفها الكيلاني للأطفال لا تقرأ هي مهملة منبوذة والأفكار التي يؤمن بها الكيلاني أصبحت منسية وحينما لا يقبل الكيلاني كلام أمل دنقل يعود إلى عالم الأحياء ليطلع بنفسه على ما يجري فيه ليتأكد من

حكاية فإنما هي التي تطلب منه أن يحكي عن غدر الرجال و حين شكا إليها التعب أمرت بقطع رأسه.

في مجال قصة «علاء الدين و المباح السحري» يكتب زكريا قصتين؛ إحداهما للصغار من مجموعة «دمشق الحرائق» و فيها يجد طفل، حزين لكسر صحن، خاتماً فضياً و حين يحركه يخرج له عفريت ليحقق له كل ما يريد فلا يطلب منه سوى إعادة الصحن الذي انكسر كي لا تضر به أمه. و نلاحظ أنه لم يستغل هذه العجزة في تحقيق مطالب الترف و البذخ و يبقى في واقعه البسيط دون أن يربو إلى حياة أفضل: «هؤلاء هم أبطال زكريا يرفضون الإستعانة بالقوى الخارجية لتحسين أوضاعهم بل يصررون على الاستسلام لواقعهم القمعي دون محالة منهم لإحداث تغيير ما». ^{٢٨} و القصة الثانية بنفس المضمون باسم «دمشق» من مجموعة «نداء نوح»، قصة صياد فقير يريد البحر منه دفع الشمن لاستفادته من أسماكه و حينما لا يدفع يواجه رفض البحر و يجلس في زاوية و فجأة يجد سيفاً عتيقاً ملقى على الأرض و حينما ينظفه يسمع صوتاً يقول: «اطلب تعط» و هذا الصوت لخادم السيف ويطلب الرجل من صاحب الصوت مدينة يسميهما فيما بعد باسم دمشق.

و قصة «أقبل اليوم السابع» من مجموعة «دمشق الحرائق» تتشابه مع حكاية مدينة النحاس في ألف ليلة و ليلة تحولها ساحرة شريرة إلى تماثيل من خشب و فجأة يقرر رجل أن يتتحرر، أنيطت مهمة إنقاذ أهل المدينة إليه وبعد إنقاذهم لا يعيروننه اهتماماً أو شكرًا على الرغم من تقديم البذل والتضحية لهم فقد أصبح منبوذاً و لذا يتمنى لو أن المدين يقيت من خشب حتى يسودها المدود و السكوت و حينما لا يتحقق أمنيته يتتحرفيسقط ميتاً. يصور زكريا أن ذلك البطل الذي تشغله الرغبة في إصلاح هذا العالم، فإذا تم له ذلك نسيه المجتمع كأنه لم يكن فيما قبل.

التراث المكتوب يستفيد زكريا من ثلاثة مصادر: ألف ليلة وليلة والسير الشعبية مثل سيرة عترة التي تناولتها في قسم الموروث الأدبي و كليلة ودمنة.

لقد ساهمت العامة في صياغة الموروث الشعبي و تداوله كما يُعدّ عنصراً من عناصر التراث و يشمل الأدب الشعبي و بعض الفنون كالغناء والموسيقا والرقص والمعتقدات الشعبية وغيرها.^{٢٦} يري إحسان عباس أن: «الجاذبية في التراث الشعبي تكمن في أنه يمثل جسراً متداً بين الشاعر والناس من حوله...».^{٢٧} و لاشك أن التراث الشعبي أقرب إلى الذاكرة الجماعية.

لقد إبتعدت زكريا هذا التراث في أدبه مستغلاً أبعاده و دلالاته القديمة مضيئاً إليه من واقعه الشعوري أبعاداً و دلالات جديدة. وقد استمد زكريا من ألف ليلة وليلة صوراً جزئية في قصص «ربيع في الرماد» من مجموعة بهذا الإسم أشار إلى شهرزاد و شهريار، و ذلك حتى يكسب الواقع بعداً أسطورياً فيتناول هذا الواقع وكأنه زمن غابرغريب إلا أنه محفوري أذهاننا. يعالج قصة البعث و قصة عالمنا الجديد من خلال شهرزاد وشهريار و ينسى شخصياتهما التاريخية فليست شهرزاد الفتاة المنعمه بل هي حارية فقيرة أعيادها البحث عن شهريار الملك حتى وجدته. وكذلك شهريار إذ عاش حزيناً يبحث عن شهرزاد في سوق النحاس فما لبث أن التقى حتى فرقتهما يد القضاء مرة أخرى إذ شهرزاد تموت حينما تنتهي و تسقط المدينة على أيدي الغزاة إلا أن شهريار يجد فتاة أخرى يتمنى لو كان اسمها شهرزاد و يعودان معاً إلى المدينة المحتقرة و يأكلان التفاح - رمز بدء الخليفة آدم و حواء- كي يعيد الخلقة من جديد.

و في قصة أخرى لشهريار و شهرزاد تحت نفس العنوان من مجموعة «نداء نوح». تتعكس الأدوار، فبدلاً من أن يطلب شهريار من شهرزاد أن تحكي له في كل ليلة

من القرض وعلى الجانب الآخر قمامه تتبعاً منها الروائح الكريهة «فاتجه الجرذ تواً و دونما تردد نحو القمامه وأكلها متلذذاً وأهلل الفستق و لم يأبه له». ^{٣٠} من خلال هذه القصة يرهن زكريا على تعود الناس على الظلم والقمع و رضاهم بهذه الظروف حتى أنهم يعودون الظلم والقمع عين العدل والحرية وبعد هذه يتكيرون معهما ويستمئرون و يستلذونهما.

و في قصة «الأعداء» من مجموعة «النمور في اليوم العاشر» يتصور عصوروين لم يرجحا بالسماء التي زينت بالمصنوعات البشرية ولا يقبلان سماء الأफاق و لهذا يؤثران الموت على الحياة حفظاً لكرامتهم، فابتلاع حبوباً ميتة وسقطاً على الإسمنت ميتين. ومن هذه الرموز استطاع أن يتصور حال الإنسان الضعيف العاجز أمام السلطات الظلمة و عرّعن الإنسان الذي يطمح إلى الحرية أينما حلّ لكنه غالباً ما خسر أمام السلطات القمعية. لذا يكون الموت هو الرحمة الحقيقية لهذا الإنسان الممزق المهزوم.

أما بالنسبة للتراث الشعبي الشفهي؛ فهو الأغاني والتعبيرات الشعبية والحكايات التي تجري على لسان الناس في الأوساط الشعبية فتصبح محفوظة في ذاكرة الناس. يقف زكريا على الموروث الشعبي والدارج للبلدان العربية عامة و مختلف ضواحي دمشق خاصة و عبر قصصه القصيرة يتناول طبيعة تفكير الناس و لباسهم و سلوكهم و موقفهم من مختلف القضايا.

وفي قصة «في ليلة من الليالي» من مجموعة «النمور في اليوم العاشر» يظهر أبوحسن الشخصية الشعبية. شديد الزهو بشاربيه (رمزالرجلة) و يسرد للطفل الذي كان معه في السجن بسبب قتل أمه، حكاية الرجل الذي تفاخر بشاربيه فغاز بابنته الملك. و من النماذج الشعبية يستعرض صيّاح و قاسم في قصة «الراية السوداء» من

و في قصة «المرافىء» من مجموعة «نداء نوح» يتصور الكاتب السندياد و قد تحطم سفينته فوجد نفسه في جزيرة الحمير، و يدور بينهما حوار يفاخر فيه كل منهما بإنجازاته الحضارية، الإنسان بأنه بنى بيوتاً و بركانات و انتخابات و كتاباً وإذاعات وصحفاً و مدارس وجامعات و جيوشاً و أسلحة ومركبات قضائية... . و الحمار بأفهم سعداء لأنهم لا يعرفون هذه الأشياء الحضارية كما لا يعرفون البيع و الشراء ولا يشترون الذمم والضمائر، ولا يعرفون الكذب و النفاق. وقد آثر السندياد أن يعيش سعيداً في جزيرة الحمير يلتهم العشب ويمشي على أربع.^{٢٩} يعتمد زكريا في صياغة بعض قصصه القصيرة على حكايات كليلة و دمنة مثل قصتي «النمور في اليوم العاشر» من مجموعة تحت نفس العنوان و أخرى قصة «الشمس منبودة» من مجموعة (نداء نوح) يكاد هدف القصتين يتشاركان. أما قصة النمور في اليوم العاشر فإنها من أروع قصصه الرمزية إذ يروي فيها على لسان النمر سيد الغابات حكاية الإنسان المحكوم للسلطة الظلمة كيف يتقهقر و يضعف و يعجز أمام أنماط القمع والتعديب و لا يستطيع الصمود. فالإنسان مسلوب الإرادة لا يملك حياته و حريته عندما يفقد حياته يتحول مثل النمر إلى موجود آخر يمسح و يقلد صوت الحمار والقط و يرقص و يصفق لسيده و يأكل الحشيش و العشب و كل ذلك حصل في عشرة أيام فكيف يشعب مضى على ترويضه زمن طويل كيف يُشوهون و يُعدون عن قيمهم و مثلهم العليا؟

في قصة (الشمس منبودة) قصة جرذ في القفص يتحنه عالم مع طلابه، في اليوم الأول رمي له فستقاً بلا قشور، بما أنه جائع، انقض على الفستق واتهمه بهم و بعد أيام و على الرغم من حجع الجرذ ألقى العالم قمامه فأكلها الجرذ بشرابة و بعد أيام أخرى وضع العالم فستقاً على جانب

نحو طربوشه و هو يرى: «أن الطراييش للرجال و الملاءات للنساء و الأغصان للشجرة». ^{٣١} يطلق امرأته و يضحي بنفسه. و كم يضحك بسذاجة هؤلاء الناس «فيواري زكريـا العالم الواقعـي خلف هذه الخرافـات ومن ثم يركـبـه ترـكـيـباً واقـعـياً جـديـداً مـغـايـراً لـما هـوـمـأـلـوفـ فيـقـدـمـ ذـرـوـةـ الإـلـتـحـامـ بـيـنـ الـخـرـافـاتـ الشـعـبـيـةـ وـ الـوـاقـعـ المـعـاشـ مـكـسـبـاـ كـلـاـمـنـهـمـاـ بـعـدـاـ غـرـائـبـاـ جـديـداـ ليـقـرـبـاـ مـعـاـ نـحـوـ الـوـجـدـانـ الشـعـبـيـ». ^{٣٢}

وهـكـذـاـ يـكـنـ تـلـمـسـ سـمـاتـ التـوـظـيفـ التـرـاثـيـ لـدـىـ زـكـريـاـ تـامـرـيـ إـبـرـازـ المـفـارـقةـ وـ التـنـاقـصـ بـيـنـ روـعـةـ المـاضـيـ وـ تـأـلـقـهـ وـ ظـلـامـ الـحـاضـرـ وـ فـسـادـهـ. يـسـتـدـعـيـ زـكـريـاـ شـخـصـيـاتـ تـرـاثـيـةـ فـيـوـظـفـهـاـ توـظـيفـاـ عـكـسـيـاـ إـذـاـ كـانـ مشـهـورـةـ فـيـ التـرـاثـ بـالـجـمـعـ وـ الـنـبـلـ وـ الـتـضـحـيـةـ وـ الـفـداءـ فـإـنـهـ يـجـعـلـهـاـ جـمـرـةـ منـبـوذـةـ فـيـ هـذـاـ عـصـرـ بـحـيثـ لـوـاستـطـاعـتـ أـنـ تـعـيـشـ فـيـ عـصـرـنـاـ لـمـ اـسـتـطـاعـتـ أـنـ تـحـقـقـ الـبـطـولـاتـ المـاضـيـةـ، لـأـنـ الـبـطـلـ فـيـ المـاضـيـ كـانـ يـمـثـلـ الـقـيـمـ الـنـبـلـةـ وـ يـجـسـدـ الـمـثـلـ النـاصـعـةـ أـمـاـ أـبـطـالـ الـيـوـمـ فـهـمـ الـأـنـذـالـ وـ الـسـفـلـةـ الـذـينـ يـلـغـوـنـ فـيـ الـقـدـارـاتـ وـ الـوـشـایـاتـ وـ الـنـهـبـ. لـقـدـ تـغـيـرـتـ الـقـيـمـ بـتـغـيـرـ الـعـصـورـ، فـمـاـ كـانـ جـمـيـداـ فـيـ المـاضـيـ أـصـبـحـ وـضـيـعـاـ فـيـ الـحـاضـرـ. زـكـريـاـ يـهـدـفـ أـنـ يـقـولـ بـهـذـهـ الـأـوـصـافـ لـاـ نـسـتـطـعـ أـنـ نـكـونـ سـعـدـاءـ بـلـ نـسـتـطـعـ أـنـ نـكـونـ طـبـيـبـينـ حـتـىـ إـنـ كـنـّـاـ بـؤـسـاءـ. زـكـريـاـ لـاـ يـمـزـحـ وـلـاـ يـلـعـبـ بـلـ كـانـ فـيـ فـكـاهـتـهـ لـاـذـعـاـ وـغـاضـبـاـ وـلـاـ يـرـىـ أـنـ يـجـبـرـهـاـ عـلـىـ الـفـكـرـ وـالـتـأـمـلـ، وـ الضـحـكـ إـنـماـ يـرـيدـ أـنـ يـجـبـرـهـمـ عـلـىـ الـفـكـرـ وـالـتـأـمـلـ، وـ يـبـرـزـ الـفـسـادـ وـالـإـبـتـذـالـ عـرـيـانـاـ وـيـصـيـحـ:

إنـ الـعـالـمـ كـلـهـ الـحـكـمـةـ وـ الـعـبـرـ

لـمـاـ يـكـونـ حـنـنـاـ كـلـهـ تـخـلـفـ وـغـفـلةـ

جهـانـ سـرـبـهـ سـرـ حـكـمـتـ وـ عـبـرـتـ اـسـتـ

چـراـ بـهـرـهـ ماـ هـمـ غـفـلتـ اـسـتـ

مـجمـوعـةـ «ـدـمـشـقـ الـحرـائـقـ»ـ اللـذـانـ يـمـثـلـانـ النـمـطـ الشـعـبـيـ الجـاهـلـ وـ يـعـارـضـانـ كـلـ جـديـدـ وـ هـذـاـ يـقـتـلـانـ شـابـاـ بـاسـمـ غـسـانـ يـمـثـلـ نـمـطاـ مـتـقـفاـ يـدـعـوـ إـلـىـ التـسـلـحـ بـالـعـلـمـ.

وـ فـيـ قـصـةـ «ـالـسـهـرـةـ»ـ مـنـ مـجمـوعـةـ «ـالـنـمـورـ فـيـ الـيـوـمـ الـعاـشـرـ»ـ يـتـنـاـولـ نـمـطـينـ مـنـ الـأـوـبـاشـ وـ الـعـطـالـينـ بـاسـمـ أـبـيـ شـكـورـ وـ أـبـيـ قـاسـمـ. وـ أـبـوـشـكـورـ يـصـطـحـبـ أـبـاسـيـرـ إـلـىـ مـقـبـرـةـ وـالـدـهـ لـيـقـيمـاـ سـهـرـةـ تـصـدـحـ فـيـهاـ الـمـوـاـبـيلـ وـ السـكـرـ. فـالـغـنـاءـ وـالـسـكـرـ عـامـلـانـ مـتـكـامـلـانـ عـنـدـ الـمـهـرـوبـ مـنـ الـمـمـومـ الـإـجـتمـاعـيـةـ وـالـسـيـاسـيـةـ. يـغـنـيـ أـبـاسـيـرـ عـلـىـ التـالـيـ:

«ـسـبـعـ آـهـاتـ مـمزـوجـةـ بـلـبـ الـكـلامـ
الـأـولـهـ آـهـ مـنـ فـعـلـكـ مـعـيـ يـاـ شـامـ
الـثـانـيـةـ يـاـ حـيـفـ ضـيـعـتـ أـيـامـيـ
شـبـهـ السـحـابـةـ الـرـيـحـ يـذـرـيـهـاـ

وـ درـيـ كـحدـ السـيـفـ يـاـ شـامـ قـدـامـيـ». ^{٣٣}

وـ فـيـ قـصـةـ «ـشـمـسـ صـغـيرـةـ»ـ مـنـ مـجمـوعـةـ «ـرـبـيعـ فـيـ الرـمـادـ»ـ طـعـمـ زـكـريـاـ هـذـهـ القـصـةـ بـالـخـرـافـاتـ مـثـلـ الـخـرـوفـ الـذـيـ يـتـحـولـ بـيـنـ يـدـيـ أـبـيـ فـهـدـ إـلـىـ اـبـنـ الـجـانـ. وـ يـضـيـفـ نـمـطاـ آـخـرـ مـنـ أـنـمـاطـ الـخـرـافـةـ الشـعـبـيـةـ الـمـتـمـلـةـ فـيـ أـوـهـامـ الـمـشـعـوذـينـ وـ الـعـرـافـينـ فـيـ قـصـةـ اـمـرـأـةـ وـحـيـدةـ. فـتـذـهـبـ عـزـيـزةـ، الـمـرـأـةـ السـاـذـاجـةـ إـلـىـ الـعـرـافـ لـيـقـيـ لـزـوـجـهـاـ مـخـلـصـاـ وـ الـعـرـافـ يـسـتـغـلـهـاـ لـإـشـبـاعـ شـهـوـاتـهـ فـيـ حـيـنـ أـنـ الـمـرـأـةـ تـسـتـسـلـمـ لـلـذـةـ السـاحـرـ لـظـنـهـاـ أـنـ الـجـانـ تـطرـدـ الشـيـاطـيـنـ مـنـ دـاخـلـهـاـ.

فـيـ قـصـةـ «ـحـكـاـيـاتـ جـحاـ الدـمـشـقـيـ»ـ مـنـ مـجمـوعـةـ «ـنـدـاءـ نـوحـ»ـ الـمـشـهـورـ أـنـ جـحاـ عـرـفـ بـنـوـادـرـهـ وـ فـكـاهـاتـهـ فـيـ التـرـاثـ الشـعـبـيـ وـ لـكـنهـ يـتـخـذـ وـجـهـاـ آـخـرـ جـادـاـ لـدـىـ زـكـريـاـ وـ يـسـتـغـلـ فـيـ هـذـهـ القـصـةـ كـلـمـاتـ مـضـحـكـةـ كـارـيـكـاتـورـيـهـ لـلـوـصـولـ إـلـىـ هـدـفـهـ.

وـ فـيـ قـصـةـ «ـالـمـطـبـشـ»ـ مـنـ مـجمـوعـةـ «ـنـدـاءـ نـوحـ»ـ يـتـنـاـولـ زـكـريـاـ إـحـدـيـ الـقـيـمـ السـائـدـةـ لـدـىـ الـعـرـبـ آـنـذـاكـ وـ هـوـ الـطـرـبـوشـ. يـعـرـضـ عـصـبـيـةـ وـ حـبـ بـطـلـ الـقـصـةـ مـنـصـورـ الـحـافـ

تعودوا الظلم والقمع واستمرؤوهما واعتبروهما العدل والحرية المنشودة.

١٠ - يتصور زكريا حال الإنسان الضعيف العاجز أمام السلطات القمعية الظالمه وعيّر عن الإنسان الذي يطمح إلى الحرية أينما حلّ لكنه غالباً ما خسر أمام هذه السلطات. لذا يكون الموت هو الرحمة الحقيقية لهذا الإنسان الممزق المهزوم.

١١ - زكريا يرى تغيرات القيم بتغيير العصور فما كان مجيداً في الماضي أصبح ضيئلاً في الحاضر.

١٢ - زكريا لا يمزح ولا يلعب بل كان في فكهاته لاذعاً حانقاً ولا يريد أن يجر الناس على الضحك إنما يريد أن يجبرهم على الفكر والتأمل ويزرع الفساد والإستشراء عرياناً واضحاً.

المواضيع

١- د. علي عشري زايد، استدعاء الشخصيات التراثية، ص ٧.

٢- ابن منظور، لسان العرب، ج ٢، ص ١٩٩-٢٠١.

٣- د. علي عشري زايد، ص ٦.

٤- السابق، ص ١٨ و ١٩.

٥- محبي الدين صبحي، ظواهر جديدة في تغيير الحساسية الأدبية، ١٩٧٣، ص ١٦٢.

٦- عزالدين إسماعيل، الشعر العربي المعاصر، ص ٣٩.

٧- أحمد محمد عطية، فن الرجل الصغير، ص ١٠٣ و ١٠٢.

٨- زكريا تامر، الذي أحرق السفن (الرعد) ص ٢٩.

٩- يوسف العظمة (١٩٢٠-١٨٨٤) ضابط سوري ولد في دمشق ، وزير الحرية في حكومة الملك الفيصل دافع عن دمشق ضد الفرنسيين مجردًا دفاعًا مستمدًا واستشهد في ميسلون. هو موضع في غرب دمشق حررت فيه معركة شهيرة بين الجيشين الفرنسي بقيادة

حصيلة البحث

١- يرى زكريا أن التراث يُعد مصدرًا من مصادر الإبداع ولا يتحقق وجود الأمة دون أن تتفاعل مع تراثها تفاعلاً حياً.

٢- يستهدف زكريا من استدعاء التراث تسلیط الضوء على التناقضات المائلة لهذا العصر وتبين مدى الاختلاف والتفاوت بين الماضي بقيمه النبيلة الناصعة المجيدة والحال بقيمه المزيفة الوضيعة والنذلة.

٣- استدعي الشخصيات التراثية فوظفها توظيفاً عكسيًا لتوليد نوع من المفارقة التصويرية بمدف إبراز التناقض الحاد بين الماضي والحال.

٤- زكريا عرض الشخصيات التراثية سواء أكانت إيجابية أو سلبية وتصورهم على عكس شهادة التاريخ لإبراز مدى جور السلطات الظالمه على البلاد العربية.

٥- يبدو على فكاهة زكريا الإقذاع والشتائم اللاذعين، وفي معظمها يغلب عليها الاستهزاء والتهكم والسخرية المباشرة.

٦- كشف لنا زكريا عن المفاهيم الزائفة التي تسود حياتنا الراهنة التي لو تحكمت في أبناء الحياة الماضية لسحقتهم وأهانتهم وحرمتهم من البطولات المضيئة.

٧- قد ابتعدت زكريا هذا التراث في أدبه مستغلاً أبعاده ودلاليه القديمه مضيقاً إليه من واقعه الشعوري أبعاداً ودللات جديدة.

٨- الإنسان الذي يتصور زكريا يرهقه ويزهقه القمع والظلم والزور والكذب، ولا يرى بارقة من الأمل في هذا العالم. ولهذا آثر أن يكون حماراً على أن يكون سعيداً.

٩- أبطال زكريا أصبحوا على أيدي أصحاب القمع ممسوخين مشوّهين، بدوا عن قيمهم و مثلهم العليا و

- الثائرة إلى السجون. عرف بالشاعر الحزين. من شعره «البكاء بين يدي زرقاء اليمامة» «العهد الآتي» وغيرها. (المنجد في الأعلام ص ٢٤٦).
- ٢٤ - ذكرياتامر، أطلال (نداء نوح) ص ٦٣-٦٦.
- ٢٥ - ذكرياتامر، نبوة كافور الإخشيدى (نداء نوح) ص ١٩٩.
- ٢٦ - امتنان عثمان الصمادى، ذكرياتامر و القصة القصيرة، ص ١١١.
- ٢٧ - إحسان عباس، اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ص ١١٨.
- ٢٨ - امتنان عثمان الصمادى، المصدر السابق، ص ١١٢.
- ٢٩ - ذكرياتامر، آخر المرافق (نداء نوح) ص ١٤٧-١٥٤.
- ٣٠ - ذكرياتامر، الشمس منبودة (نداء نوح) ص ١٧٠.
- ٣١ - ذكرياتامر، السهرة (النمور في اليوم العاشر) ص ٧٤-٧٥.
- ٣٢ - ذكرياتامر، المطربش (الحصم)، ص ١٦٦.
- ٣٣ - امتنان عثمان الصمادى، ص ١١٦.

المصادر المراجع

- [١] إسماعيل، عزالدين، الشعر العربي المعاصر قضيابه و ظواهر الفنية والمعنوية، ط ٣، دار الفكر.
- [٢] ابن منظور، لسان العرب، دارصادر، بيروت.
- [٣] تامر، ذكريات، صهيل الجواد الأبيض، ط ٤، دارياض الرئيس للكتب و النشر، ٢٠٠١، بيروت.
- [٤] ———، ربيع في الرماد، ط ٤، دارياض الرئيس للكتب و النشر، ٢٠٠١، بيروت.
- [٥] ———، الرعد، ط ٤، دار رياض الرئيس للكتب و النشر، ٢٠٠١، بيروت.
- [٦] ———، دمشق الحرائق، ط ٤، دار رياض الرئيس للكتب و النشر، ٢٠٠١، بيروت.

- غورو و السوري بقيادة يوسف العظم، أبلی يوسف العظم فيها بلاً حسناً وأظهر البذل والتضحية لوطنه أمام الجيش الفتاك المدجج بالسلاح الفرنسي واستشهد. (المنجد في الأعلام ص ٣٧٦)
- ١٠ - ذكرياتامر، الإستغاثة (دمشق الحرائق) ص ١٤٤.
- ١١ - ذكرياتامر، الجريمة (ربيع في الرماد) ص ٣٥.
- ١٢ - ذكرياتامر، من قتل الجنرال (نداء نوح) ص ٢١٢، ٢١٣.
- ١٣ - السابق، ص ٢١٣.
- ١٤ - رياض عصمت، الصوت و الصدى، ص ٧١ و أيضاً راجع لمزيد من المعلومات مقالة هارتموت فاندرتيش «كافور الإخشيدى، شخصية تاريخية وأسطورية في قصص ذكرياتامر ص ٣١-٣٤.
- ١٥ - عمر المختار هو البطل الليبي الذي بذل وضحّى بنفسه أمام القوات الإيطالية الفتاك و المفترسة و في النهاية أُلقي عليه القبض و حكم عليه بالاعدام شنقاً.
- ١٦ - ذكرياتامر، المتهم (الرعد) ص ٣٤.
- ١٧ - ذكرياتامر، الشنفرى (دمشق الحرائق) ص ١٧١.
- ١٨ - ذكرياتامر، الجالس و الواقع (نداء نوح) ص ٢٠٥.
- ١٩ - ذكرياتامر، عبدالله بن المفعع الثالث (نداء نوح) ص ٢٥.
- ٢٠ - السابق ص ٢٥.
- ٢١ - ذكرياتامر، إعدام الموت (نداء نوح) ص ٥٤.
- ٢٢ - كامل الكيلاني (١٨٩٧-١٩٥٩) أديب مصرى، رائد أدب الأطفال من أهم مؤلفاته أساطير القيوم و «روائع من قصص العرب» و «قصص عالمية للأطفال» (المنجد في الأعلام ص ٤٨٤).
- ٢٣ - أمل دنقل (١٩٤٠-١٩٨٣) شاعر مصرى أحب الفلاحين و الكادحين و المظلومين و قادته إنسانيته

- [١٤] الصبحي، محبي الدين؛ ظواهر جديدة في تغيير الحساسية الأدبية، مجلة المعرفة، ع١٣٥٤، ١٩٧٥.
- [١٥] عباس، إحسان؛ اتجاهات الشعر العربي المعاصر، ط٢، دارالشروق، عمان، ١٩٩٢.
- [١٦] عصمت، رياض؛ الصوت و الصدى (دراسة في القصة السورية الحديثة)، دارالطباعة بيروت، ١٩٧٩.
- [١٧] عطيه، أحمد محمد؛ فن الرجل الصغير (في القصة العربية القصيرة)، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ١٩٧٧.
- [١٨] مجموعة من المؤلفين؛ القصة القصيرة في سورية مقال كافور الإخشيدى شخوص تاريخية و أسطورية في قصص زكريا تامر من فاندرتيش هارتوم، المعهد الفرنسي للشرق الأوسط، فرع الدراسات العربية، لا تا.
- [١٩] ———، النمور في اليوم العاشر، ط١، دارالآداب، ١٩٨٧.
- [٢٠] ———، نداء نوح، دار رياض الريس للكتب و النشر، ط٢، ٢٠٠١، بيروت.
- [٢١] ———، سنجحك، دار رياض الريس للكتب و النشر، ط١، ١٩٩٨، بيروت.
- [٢٢] ———، الحصرم، دار رياض الريس للكتب و النشر، ط١، ٢٠٠٠، بيروت.
- [٢٣] ———، تكسير ركب، دار رياض الريس للكتب و النشر، ط١، ٢٠٠٢، بيروت.
- [٢٤] زايد، علي عشري، استدعاء الشخصيات التراثية في الشعر العربي المعاصر، دارغريب للطباعة و النشر و التوزيع ط١، ٢٠٠٦، القاهرة.
- [٢٥] الصمادي، امتنان عثمان؛ زكريا تامر والقصة القصيرة، المؤسسة العربية للدراسات و النشر، ط١، ١٩٩٥، عمان.

به کارگیری میراث در ادب داستانی زکریا تامر

صلاح الدین عبدي^۱

تاریخ پذیرش: ۱۳۸۷/۳/۲۹

تاریخ دریافت: ۱۳۸۶/۱۱/۱۴

به کارگیری شخصیتهای قدیمی و میراث در ادب عربی یکی از مراحل ارتباط ادیب با ادبیات قدیمی‌اش است. میراث یکی از منابع ابداع به‌شمار می‌رود و وجود هیچ ملتی بدون ارتباط تنگاتنگ و پویا با میراث قدیمی‌اش محقق نمی‌شود. بیان شخصیت قدیمی و به کارگیری آن نوعی غناء و اصالت به ادبیات می‌دهد و از آنجایی که میراث به خرد جمعی نزدیکتر است و ادب‌ها به این نوع ادبی چه بصورت شعری یا نثری و مخصوصاً بعد از شکست ژوئن ۱۹۶۷ توجه نشان داده اند و آن را دوباره زنده کرده یا الهام گرفته اند تا ادبیات‌شان ارتباط محکمتری با جامعه داشته باشد و بر میراث تکیه کرده در حالیکه افکار معاصر و مدرنیزم رانیز فراموش نکرده اند. زکریا تامر نیز مانند دیگر ادباء از مضامین میراث قدیمی الهام گرفته و گاهی تکیه بر میراث تاریخی و گاهی هم میراث ادبی و زمانی تکیه بر میراث فولکلور نموده است و براین امر تاکید کرده که شخصیتهای گذشته بر گرفته از تاریخ اسلامی و عربی است.

این مقاله براین هدف است که تناقضات چشمگیر که این عصر دارد روشن نماید و تفاوت زیادی که بین گذشته با ارزش‌های عالی و خوب و حال با ارزش‌های پست و بی اهمیت دارد بیان نماید و بگوید آیا این قهرمانان با چنین ارزش‌هایی که در گذشته زندگی می‌کردند اگر در زمان ما زندگی می‌کردند آیا می‌توانستند ابداعهای و ابتکارات گذشته را حل نمایند. زکریا تامر باتکیه بر اسلوب طنز تلخ و گزنه یوسف عظمه، طارق بن زیاد، چنگیزخان، تیمورلنگ، عمر خیام، احمد شوقي، متنبی، ابونواف و عبدالله مقفع و دوباره زنده گردانده تا آنها را در مقابل تناقضات عصر معاصر به چالش بطلبد.

واژگان کلیدی: فراخوانی، شخصیتهای میراث، اسلوب تلخ و گزنه، زکریا تامر

۱. استادیار دانشگاه بولعلی سینا همدان گروه زبان و ادبیات عرب